٦- حزب التحرير:

كثير هي الحركات والجماعات التي أساءت إلى الإسلام بما تحمله من أفكار متطرفة كما رأينا عند القاعدة والجهاد الإسلامي، لكننا هذه المرة نقف مع إحدى الجماعات التي لا تختلف فكرا فقط بل في العقيدة أيضاً، إنها جماعة أطلقت على نفسها حزب التحرير، فهي جماعة تدعو إلى إقامة دولة الخلافة الإسلامية، وتوحيد المسلمين تحت مظلة الخلافة، ينظم هذا الحزب نفسه كحزب سياسيّ ينشط في المجالات السياسية والإعلامية وفي مجال الدعوة الإسلامية، وبناءً على منشورات الحزب فإنه يتخذ من العمل السياسي والفكري طريقاً لعمله، ويتجنب ما يسميه بالأعمال المادية مثل الأعمال المسلحة لتحقيق غايته.

وقد تأسس هذا الحزب على يد القاضي تقي الدين النبهاني في القدس مطلع عام ١٩٥٣م بعد تأثره بحال العالم الإسلامي إثر سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية في إسطنبول عام ١٩٢٤م.

وقد نظم النبهاني جماعته كحزب سياسي، وسمى القيادة السياسية في حزب التحرير بـ"الإمارة"، يتولاها "أمير الحزب" الذي يتم انتخابه داخلياً طبقاً لآليات حزبية معينة، وتكون مدة إمارته غير محدودة، وكان النبهاني هو الأمير المؤسس، وظل يقود الحزب حتى وفاته عام ١٩٧٧م.

يتخذ حزب التحرير من العمل السياسي والفكري طريقة للوصول إلى غايته، اقتداءً برسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - حسب اعتقادهم أثناء عمله في المرحلة المكية التي سبقت هجرته إلى المدينة المنورة، وتأسيس الدولة الإسلامية فيها. وقول النبهاني ينافي أيضا قول الله تعالى مُخبرًا عن موسى - عليه السلام - :

"إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ "[1] وهذا صريح بأنَّ اللهَ تعالى هو الذي يخلق الاهتداء في قُلوب مَن شاء أن يَهديهم، والضلالة في قلوب من شاء أن يضلهم، وَيَرده أيضا قولهُ تعالى:" وَنُقَلِّبُ أفْئِدَتَهُم وأبْصارَهُم"[2]، فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية بأنَّ عمل العبد القلبي وعمله الذي يعمله بجوارِحِه من فعل الله تعالى وخَلْقِه.

وأما مُخالفته للحديث فقد روي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قالِ: "كلُّ شيء بِقَدَر حتى العَجزُ والكَيس"[3]، وقوله: " إنَّ اللهَ صانع كل صانع وصنعته "[4] ، وقوله: "صنفان من أمتي لا نَصيب لهُما في الإسلام: القدرية والمُرجئة"[5]، فهذا الحديث صريح في تكفير أهل القدر القائلين: بأن العبد هو الذي يخلق أعماله بإرادته وتقديره كهذه الفرقة التحريرية، فهم بهذه المقولة جردوا أنفسهم من الإسلام، وانسلخوا منه كما تَنسَلِخ الحيّة من جلدها.

وأما مخالفته لصحيح العقل فهو أنه يَلزم مِن قولهم هذا أن يكون الله مغلوبا مقهورا، لأنه يكون العبد على ذلك خالقًا لهذه المعاصي على رغم إرادة الله تعالى الله عن ذلك، والله لا يكون إلا غالبًا، وأيضا على حَسَب زعمهم يجري في ملكه تعالى شيء بغير مشيئته، وهذا ممّا لا يَصح؛ فإنه لا يجري في ملكه طرفة عين ولا لفتة ناظر إلا بقضاء الله وقدره ومشيئته وعلمه، ولا فرق بين ما كان خيرا أوشرا.

ومن جملة تحريفاتهم أنّهم يقولون: إن الذي يكون في زَمَن ليس فيه خليفة كهذا الزمن إذا مات تكون ميتته ميتة جاهلية، مع إيهامهم أن ذلك لمن لم يتكلم معهم في أمر الخليفة كما هم يتكلمون بألسنتهم.

---

[1]- سورة الأعراف آية (١٥٥) .
[2]- سورة الأنعام آية (١١٠) .
[3]- صحيح مسلم (٢٦٥٥) .
[4]- رواه البخاري في صحيحه في خلق أفعال العباد رقم (١١٧).
[5]- الشريعة للآجري رقم (٣٠٧/١) .

يُقال لهم : حديث ابن عمر عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم– بلفظ : " مَنْ خَلَعَ يدًا من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له، ومَن مات وليس في عُنقه بَيْعة مات ميتة جاهلية" ([1]) ، فهم يذكرون للناس الجملة الأخيرة، فيكررون: " من مات وليسَ في عُنُقِهِ بَيْعَة مات ميتة جاهلية "، ومعنى هذا الحديث أنَّ مَن تَمرَّدَ على الخليفة واستمر على ذلك إلى الممات تكون مِيتَتُه مِيتَة جاهلية، كما يَدُّل على ذلك حديث البخاري ومسلم عن حُذَيفةَ بنِ اليَمان والذي قال فيه رَسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعد وَصف الدُعاة على أبواب جهنم: " فالزَموا جَماعَة المسلمينَ وإمامَهُم "، قالَ حُذَيْفة: فإن لم يَكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فَاعْتَزِل تِلكَ الفِرَق كلَّها "، ولم يَقُل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أنتم تَموتونَ ميتة جاهلية ([2]).

ومن أباطيلهم قولهم: إنه لا يَحْرُمُ المشْي بقصد الزنى بامرأة أوِ الفجور بغلام، وإنما المعصية في التطبيق بالفعل، وفي هذا الكلام مخالفة للإجماع، وللحديث: " كُتِبَ على ابنِ آدَمَ نَصيبُهُ مِنَ الزنى مُدْرِكٌ ذلِكَ لا مَحالة، فالعَيْنانِ زِناهُما النَظَر،والأذُنانِ زِناهُما الاسْتِماع، واللِسان زِناهُ الكَلام، واليَدُ زِناها البَطش، والرِجْلُ زِناها الخُطا، والقَلْبُ يَهْوى ويَتَمنّى وُيصدق ذَلِك الفَرْج ويُكَذّبه " ([3])

وأيضا قولهم بجواز مُصافحة الرجل للمرأة الأجنبيّة بلا حائل اجتهاد على خلاف النص، فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : "واليد زِناها البطش " ، والبطش هو الإمساك باليد، لأن البَطْش له مَعْنيان في اللغة: أحدهما: الأخذ بعنف، والثاني: عمل اليَد، قال الفَيّومي بطشت اليد: أي عملت ([4])

---

[1]- رواه مسلم (١٨٥١) .
[2]- صحيح مسلم بشرح النووي (١١- ١٢)
[3]- رواه البخاري (٦٦١٢) .
[4]- المصباح المنير للفيومي (١ – ٥١) .

ويَدلُّ على تحريم المصافحة للأجنبيّة أيضا حديث: " لأنْ يُطْعَنَ أحَدكم في رأسِهِ بمخيط من حديد خير له من أن يَمسّ امرأة لا تَحلّ له " ([1]).

وبعد فكما هو واضح مدى الجهل المطبق، وسوء الفهم لأصول الدين وقواعده، فقد أدى ذلك كله إلى ظهور فكر متخبط بعيدا عن الفكر الإسلامي الصحيح، ولا أدري هل قرأ هؤلاء سير الصحابة الكرام - رضوان عليهم - وكتب الأوائل التي شرحت الإسلام وشريعته بشكل صحيح؟ أعتقد لا .

[1]- أخرجه الروياني في المسند (١٢٨٣) باختلاف يسير، والطبراني (٢٠-٢١١)(٤٨٦)، والبيهقي كما في الترغيب والترهيب ، للمنذري (٣- ٢٦) واللفظ لهما .